رسالة منطقية فلسفية للودفيج فتجنشتين

بقلم
الدكتور عزمى إسلام

يعتبر فتجنشتين ، على الرغم من النقد الذى يوجه إلى فلسفته بصفة عامة ، أحد العلامات الهامة على طريق الفكر الفلسفى المعاصر ، حتى لقد ذهب بعض مؤرخى الفلسفة المعاصرة مثل بتشر Pitcher إلى القول بأن فتجنشتين كان واحداً من كبار فلاسفة القرن العشرين إن لم يكن أعظمهم بالفعل .

وتعود أهمية فتجنشتين إلى أن فلسفته — وخاصة تلك المتمثلة فى رسالته المنطقية الفلسفية — كانت بمثابة نقطة تحول حاسمة فى تاريخ الفلسفة المعاصرة والمنطق الجديد ، ولم يكن دلك راجعاً إلى ما توصل إليه من نتائج فلسفية بقدر ما يرجع إلى المنهج التحليلى الذى اتبعه فى بحثه الفلسفى، حتى أن كثيراً من المعاصرين — على حد تعبير داڤيد بول فى كتابه عن فلسفة فتجنشتين — يؤكدون أن كل طرق التفلسف القديمة أصبحت غير مقبولة منذ ظهور مؤلفات فتجنشتين .

وتعود أهمية فتجنشتين كذلك إلى أن فلسفته كانت أشبه ما تكون بالثورة على الفلسفة التقليدية وذلك بدعوته إلى تغيير المفهوم القديم للفلسفة فأصبحت عنده عبارة عن تحليل للغة التى نتكلم بها فى الفلسفة أو نعبر بها عما نثيره من مشكلات فلسفية بدلا من إقامة نسقات فكرية أو ميتافيزيقية متكاملة . أصبحت الفلسفة لديه بمعنى آخر فلسفة للفلسفة ، وأصبح عمل الفيلسوف عنده هو أن يكون فيلسوفاً للفيلسوف بتحليله لما يقول .

كما تعود أهمية فتجنشتين أيضاً إلى أنه كان أول من نادى بأن قواعد المنطق — إن هى ، إذا حللناها — إلا قواعد اللغة ، فأوجد بذلك نوعاً من التوازى بين قواعد كل منهما على أساس أن صورة المنطق ، ومن ثم صورة الفكر شىء واحد . وقد تبعه فى هذا الكثير من الفلاسفة فيما بعد مثل كارنب .

هذا فضلا عن الأثر البالغ الذى تركه فتجنشتين فى كل التيار الفكرى الوضعى والتحليلى المعاصر ، الأمر الذى جعل دراسة الفلسفة فى اتجاهها التحليلى أو الوضعى المنطقى شيئاً متعذراً بغير دراسة أفكار فتجنشتين وتحليلاته المنطقية التى اعتبرها برتراند رسل لعمقها واتساع مجالها حدثاً هاماً فى تاريخ الفلسفة .

حياة فتجنشتين

ولد لدفيج جوزيف يوهان فتجنشتين Ludwig Joseph Johann Wittgenstein فى

السادس والعشرين من شهر ابريل عام ١٨٨٩ بالنمسا وتلقى أول تعليم له بالمنزل حتى سن الرابعة عشرة ثم التحق بمدرسة لينتز Lintz فى شمال النمسا لمدة ثلاث سنوات التحق بعدها عام ١٩٠٦ بالأكاديمية الصناعية فى برلين وظل بها حتى عام ١٩٠٨ حين سافر إلى انجلترا والتحق بجامعة مانشستر لدراسة الهندسة واستمر بها حتى عام ١٩١١ . وقد شُغل فى هذه الفترة — بالإضافة إلى دراسته — بأبحاث قام بها فى الملاحة الجوية ، انتقل من تجاربه فيها على الطائرات الشراعية إلى إنشاء محرك نفاث للطائرات وكان عمل المحرك أول الأمر هو موضع اهتمامه ، إلا أنه سرعان ما ركز كل اهتمامه على تصميم المحرك ، وكان هذا التصميم فى أساسه عملية رياضية الأمر الذى دفعه إلى الاهتمام بالرياضة فاتجه أولا إلى الرياضة البحتة ثم إلى أسس الرياضيات وفلسفتها ، وبدأ بدراسة الجزء النظرى من أسس الرياضيات فقرأ كتاب « أصول الرياضيات » لبرتراند رسل الذى كان قد ظهر عام ١٩٠٣ . وفى عام ١٩١١ توقف فتجنشتين عن دراسة الهندسة وارتحل إلى ينا Jena فى ألمانيا لكى يناقش أفكاره عن أسس الرياضيات مع فريجه G. Frege الذى نصحه بالتوجه إلى كمبردج للدراسة مع رسل ، فعاد إليها فى السنة نفسها وظل بها يدرس الفلسفة والمنطق والرياضيات فضلا عن علم النفس والموسيقى وفلسفة الجمال حتى خريف عام ١٩١٣ حين ارتحل إلى هولنده وأقام لنفسه بها كوخاً صغيراً بالقرب من مقاطعة سكولدن ، عاش فيه متفرغاً للفلسفة حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فتطوع فى جيش النمسا ، ووقع فى الأسر أثناء انهيار الجيش النمسوى المجرى فى نوفمبر من عام ١٩١٨ ، وظل أسيراً حتى أغسطس من العام التالى ١٩١٩ بأحد معسكرات الاعتقال فى جنوب إيطاليا .

وقد اختار ڤتجنشتين بعد انتهاء الحرب مهنة التدريس ، وتدرب عليها فى فى الفترة بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ فى كلية المعلمين بڤينا ، ومارس هذه المهنة لمدة ست سنوات ثم استقال منها عام ١٩٢٦ . وبدأ فى خريف العام نفسه فى عمل استغرق فيه طوال سنتين كاملتين ، وهو بناء منزل فى ڤينا لإحدى أخواته وقد تعرف إليه فى تلك الأثناء موريس شليك مؤسس جماعة ڤينا وفريدريش ڤايزمان أحد أعضائها ، ثم عاد إلى كمبروج مع بداية عام ١٩٢٩ وتقدم برسالته المنطقية الفلسفية للحصول على درجة الدكتوراه ، وحصل عليها فى يونيه من العام نفسه ، وأصبح ابتداء من عام ١٩٣٠ زميلا فى كلية ترينيتى . وقد ظل ڤتجنشتين يعمل فى كمبردج حتى نهاية العام الجامعى ١٩٣٥—١٩٣٦ ثم رحل إلى النرويج وظل بها لمدة عام تقريباً بدأ فيه تأليف كتابه « أبحاث فلسفية » ، ثم عاد إلى كمبردج عام ١٩٣٧ وخلف چورج مور عام ١٩٣٩ على كرسى الفلسفة بها حتى قامت الحرب العالمية الثانية فاشترك فيها مساهماً فى الأعمال الطبية بمستسفيات لندن ونيوكاسل . ثم اعتزل كرسى الفلسفة بالجامعة عام ١٩٤٧ وارتحل إلى ايرلندة وظل بها إلى أن أكمل الجزء الثانى من كتابه « أبحاث فلسفية » ، وقد تبين له فى تلك الأثناء أنه مريض بالسرطان الذى ظل يعانى منه حتى توفى فى كمبردج عام ١٩٥١ .

أعماله :

لم يكن ڤتجنشتين مكثرا فى إنتاجه الفلسفى بل كان مقلا ، حتى إنه لم ينشر فى حياته إلا كتاباً واحداً هو « رسالة منطقية فلسفية » ، ومقالا له بعنوان « بعض ملاحظات على الصورة المنطقية » . وكل مانشر من كتاباته — سواء قبل وفاته أو بعدها — كان عميقاً يصعب فهمه أحياناً حتى بالنسبة لتلاميذه الذين كانوا يستمعون إلى محاضراته ، الأمر الذى أدى إلى ظهور

كثير من الكتب الحديثة يحاول مؤلفوها شرح أفكار ڤتجنشتين الفلسفية التى أوجزها فى مؤلفاته القليلة . وخير مثال لذلك ظهور أكثر من خمسة أبحاث فى السنوات العشر الأخيرة ، يحاول أصحابها — وأغلبهم من تلاميذ ڤتجنشتين ، مثل أنسكوم Anscombe أن يفسروا ما ذهب إليه فى رسالته المنطقية الفلسفية التى ظهرت لها ترجمتان انجليزيتان حتى الآن تختلفان إلى حد ما فى تناول النص الأصلى الذى كتبه ڤتجنشتين باللغة الألمانية .

وفيما يلى أهم مؤلفات ڤتجنشتين الفلسفية ، مرتبة ترتيباً زمنياً :

١ — المذكرات Notebooks التى كتبها فى الفترة بين عامى ١٩١٤ ، ١٩١٦ وقد ترجمتها إلى الانجليزية أنسكوم التى قامت بنشرها كذلك بالاشتراك مع فون رايت عام ١٩٦١ فى بلاكويل بانجلترا وتعتبر هذه المذكرات بصفة عامة نموذجا طيباً لأفكاره الفلسفية الأولى التى ركزها بعد ذلك وبلورها فى رسالته المنطقية الفلسفية .

٢ — « رسالة منطقية فلسفية »
Logich — Philosophische Abhandlung
ونشرت باللغة الألمانية عام ١٩٢١ ، ثم باللغة الانجليزية عام ١٩٢٢ بالعنوان اللاتينى الذى عرفت به وهو Tractatus Logico-Philosophicus بعد أن ترجمها أوجون Ogden وكتب لها رسل مقدمة طويلة وسأتناول بالتفصيل أهم أفكار ڤتجنشتين فى هذه الرسالة فيما بعد .

٣ — « بعض ملاحظات على الصورة المنطقية »
Some Remarks on the Logical Form
وهو مقال باللغة الانجليزية نشر فى » منشورات الجمعية الأرسطية عام ١٩٢٩ ، يستكمل فيه ڤتجنشتين الإطار المنطقى الذى أسهب فى الحديث عنه فى رسالته المنطقية الفلسفية ويمكننا القول بأن هذه المؤلفات الثلاثة والرسالة بصفة خاصة توضح الأثر الكبير الذى تركه كل من فريجه ورسل فى تفكير ڤتجنشتين المنطقى والرياضى وقد عبر ڤتجنشتين عن ذلك فى مقدمة رسالته بقوله « إننى لن أشير إلا إلى مؤلفات فريجه التى أنا مدين لها ، كما اننى مدين لكتابات صديقى برتراند رسل من حيث استثارة أفكارى هذه » .

٤ — مؤلفان كبيران مكتوبان باللغة الألمانية على الآلة الكاتبة (لم ينشرا بعد) .

(ا) الأول منهما بحث يقع فى حوالى ثمانمائة صفحة مقسمة إلى أجزاء وفصول .

(ب) والثانى يحمل اسم « ملاحظات فلسفية » Philosophische Bemerkungen وكان موضوعهما عاما شاملا ، وإن كان ڤتجنشتين يعطى فيهما اهتماماً خاصاً لفلسفة الرياضيات ويمثلان موقف ڤتجنشتين الفلسفى بصفة عامة سنة ١٩٣٠ حين بدأ يراجع أفكاره الفلسفية الأولى .

٥ — محاضرات ڤتجنشتين فيما بين عامى ١٩٣٠ — ١٩٣٣ ، وهى بعض الملاحظات التى استطاع چورج مور جمعها من محاضرات ڤتجنشتين ومناقشاته فى كمبردج فى تلك الفترة وقد نشرت بالعنوان السابق فى مجلة مايند عام ١٩٥٤ (عدد يناير سنة ١٩٥٤ من صفحة ١—١٦ ، وعدد يولية من صفحة ٥٣٠— ٥٥٩ ، وعدد يناير ١٩٥٥ من صفحة ١ — ٢٧) ثم أعاد مور نشرها ضمن مجموعة مقالات له ظهرت بعنوان « بحوث فلسفية » Philosophical Papers عام ١٩٥٩

٦ — « الكتابان الأزرق والبنى » Blue and Brown Books وهو العنوان المختصر لهذين الكتابين اللذين ظهرا فى مجلد واحد عام ١٩٥٨ (وقد أعيد طبعهما عام ١٩٦٠ ، ثم عام ١٩٦٤) والكتاب

الأزرق عبارة عن محاضرات ألقاها ڤتجنشتين فى كمبردج أثناء العام الجامعى ١٩٣٣ – ١٩٣٤ ، أما الكتاب البنى فقد أملاه على اثنين من طلبته هما فرانسيس سكينر F. Skinner وأليس امبروز A. Ambrose أثناء العام الدراسى ٣٤ – ١٩٣٥ .

وترجع تسمية هذين الكتابين بالأزرق والبنى إلى لون الغلاف الذى كان كل منهما مغلفا به ، بحيث تداول تلاميذ ڤتجنشتين قراءة هذه الكتب مع مع تسميتها بلون الغلاف الذى كانت النسخة الأولى من كل منهما مغلفة به . وترجع أهمية هذين الكتابين إلى أنهما توضحان بصفة خاصة كثيراً من العبارات الغامضة فى رسالته المنطقية الفلسفية ، كما أنهما توضحان تطور أفكاره الفلسفية — وخاصة الكتاب الأزرق — لأنه كان يحتوى على ما أسماه ڤتجنشتين بالفلسفة الجديدة التى تمثلت فيما بعد فى كتابه « أبحاث فلسفية » .

٧ — « ملاحظات على أسس الرياضيات »

Bemerkungen uber die Grundlagen der Mathematik

وهى مختارات من ملاحظات كتبها ڤتجنشتين فيما بين عامى ١٩٣٧ – ١٩٤٤ ترجمتها انسكوم ونشرتها بالاشتراك مع ريز Rhees عام ١٩٥٦ ثم أعيد طبعها عام ١٩٦٤ وهى تمثل أفكار ڤتجنشتين الجديدة المتعلقة بأسس الرياضة بصفة خاصة وبعلاقة الرياضة بالمنطق بصفة عامة .

٨ — « محاضرات فى الجمال وعلم النفس والدين »

وهى مقتطفات من العدد القليل من المحاضرات التى ألقاها ڤتجنشتين فى كمبردج عام ١٩٣٨ عن فلسفة الجمال فضلا عن عدة ملاحظات كتبها ڤتجنشتين عن علم النفس والدين فى ذلك الوقت (وقد جمع هذه المحاضرات والملاحظات ريز R. Rhees ، وسميثيز Y. Smithies ونشرها سيريل باريت Barrett عام ١٩٦٦ .

٩ — « قصاصات » Zettel

وهى مجموعة من الملاحظات التى كتبها ڤتجنشتين على قصاصات فى الفترة بين عام ١٩٢٩ ، وعام ١٩٤٨ . وأغلب الملاحظات المنشورة فى هذا الكتاب تتعلق بالفترة بين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ — وقامت بترجمتها أنسكوم ونشرتها بالاشتراك مع ڤون رايت عام ١٩٦٦ . وتعبر هذه الملاحظات عن أهم أفكار ڤتجنشتين الجديدة التى ظهرت مرتبة مبلورة فى كتابه « أبحاث فلسفية » .

١٠ — « أبحاث فلسفية »

Philosophische Untersuchungen

وهو مكون من جزءين انتهى ڤتجنشتين من أولهما عام ١٩٤٥ ، أما الجزء الثانى فقد كتبه بين عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ وقد قامت أنسكوم بترجمتها إلى اللغة الانجليزية ونشرته بالاشتراك مع ريز Rhees عام ١٩٥٣ (وأعيد طبعه عام ١٩٥٨ ، ثم عام ١٩٦٣) . ويعتبر هذا الكتاب (١) بمثابة المراجعة الأخيرة أو التصحيح النهائى لأفكار ڤتجنشتين السابقة ، وقد عبر عن هذا المعنى بقوله فى مقدمة الكتاب — إننى قد اضطررت أن أتبين أخطاء جسيمة فيما كتبته فى الكتاب الأول مثل فكرته عن الأنا وحديه وفكرته عن الذرية المنطقية . (٢) كما يعتبر فى الوقت نفسه بمثابة تطوير لأفكاره القديمة الواردة فى رسالته المنطقية الفلسفية ، أو هو بمثابة إعادة ترجمة لهذه الأفكار القديمة فى سياق فلسفى جديد متطور .

* * *

الرسالة المنطقية الفلسفية

Tractatus Logico-Philosophicus

تعتبر رسالة ڤتجنشتين المنطقية الفلسفية من أهم المؤلفات التى ظهرت فى الثلاثينيات الأخيرة ، سواء بالنسبة للمنطق أو بالنسبة لفلسفة التحليل المعاصرة .

فهى كانت ذات أثر بالغ فى الفكر الفلسفى بصفة عامة ، وفيما يتعلق بالاتجاهات الفلسفية المؤيدة للاتجاه التحليلى المنطقى خاصة ، مثل مدرستى كمبردج وأكسفورد وكذا فلسفة الوضعية المنطقية .

ولا يكاد الإنسان يغالى فى القول بأن هناك شبه إجماع بين دارسى الفلسفة المعاصرة على أهمية « رسالة » فتجنشتين وأثرها البالغ فى الفكر الفلسفى المعاصر فيقول رامزى مثلا فى كتابه « أسس الرياضيات » (صفحة ٢٧٠) « إن الرسالة كتاب له أهمية غير عادية ويستحق أن يوليه كل الفلاسفة اهتمامهم الشديد » ، كما يقول ماكسويل فى كتابه « الفلسفة والتحليل اللغوى » (صفحة ٩٣) « إن الإنسان يستطيع القول — بلا مبالغة — إن كل الفلسفة الانجليزية التالية لظهور الرسالة ، كانت متضمنة فى الرسالة نفسها على نحو أو آخر » . ويعبر ستنيوس عن هذا المعنى أيضاً فى كتابه « رسالة ڤتجنشتين المنطقية الفلسفية » (صفحة ١٦) بقوله « إن الرسالة كانت ذات أثر بالغ فى الحياة الفكرية المعاصرة » وهو المعنى ذاته الذى يذكره بتشر فى كتابه « فلسفة فتجنشتين » (صفحة ٦) حين يقول « إن الرسالة أحدثت تأثيراً عميقاً فى كل ما تلاها من أفكار فلسفية » ، مؤيداً بذلك قول موريس شليك بأن ظهور رسالة ڤتجنشتين كان بمثابة نقطة تحول حاسم فى تاريخ الفلسفة » .

هذا ويمكننا تلخيص أهمية رسالة ڤتجنشتين بصفة عامة فى أنها قدمت لنا طريقة مثيرة وجديدة فى كيفية تناول المشكلات القديمة للفلسفة ، وذلك بتحليل القضايا التى نصوغ فيها هذه المشكلات تحليلا منطقياً يوضح أن أغلبها ليست إلا مشكلات زائفة وانها لم تنشأ إلا نتيجة لسوء فهم منطق اللغة . ولقد كان لهذه الفكرة أبلغ الأثر فى فلسفة التحليل المعاصرة المتمثلة فى مدرستى كمبردج واكسفورد ، وخاصة عند رايل وأوستن وستروسون وويزدم .

ولقد عبر داڤيد بول فى كتابه « فلسفة ڤتجشتين المتأخرة » عن أهميـــة المنهج الذى اتبعه ڤتجنشتين بقوله « يكفى أن نقول إن ڤتجنشتين قد ابتدع طريقة جديدة للتفلسف ، بل إن كثيراً من المعاصرين يؤكدون أن كل طرق التفلسف القديمة أصبحت غير مقبولة فى الفلسفة منذ ظهور مؤلفاته » . كما أن فكرة فتجشتين عن تحقيق القضايا فى « الرسالة » بمقارنتها بالدافع الخارجى ، كانت ذات أثر بالغ فى ظهور مبدأ التحقق عند فلاسفة الوضعية المنطقية بصفة عامة ، وبعد أن تطور فى فلسفة اير Ayer إلى ما يعرف بالتحقق الفعلى والتحقق الممكن .

قضلا عن أن الرسالة كانت تطبيقاً للمنطق الرمزى على أوسع نطاق ، على حد تعتبر بلا نشارد فى كتابه « العقل والتحليل » (صفحة ١٣٥) ، كما كانت فى الوقت نفسه استكمالا للنقائص الموجودة فى محاولات رسل وفريجه المنطقية .

كما ويعتبر فتجنشتين فى « رسالته » أول من تكلم فى المنطق المعاصر على أنه مجرد علامات اتفاقيـــة لا تكشف عن طبيعة الأشياء ، الأمر الذى جعله ينتهى فيها إلى أن قضايا المنطق كلها تحصيلات حاصل.

تـكوين « الرسالة » .

تعتبر رسالة ڤتجنشتين المنطقية الفلسفية تعبيراً موجزاً عن تأملاته فى الفلسفة والمنطق والرياضيات لفترة لا تقل عن ست سنوات آخرها عام ١٩١٨ حين انتهى من كتابة مسودتها قبل أن يقع أسيراً فى العام نفسه أثناء اشتراكه فى الحرب العالمية الأولى .

وقد نشرت الرسالة لأول مرة باللغة الألمانية عام ١٩٢١ فى المجلة السنوية للفلسفة الطبيعية ثم غير ڤتجنشتين عنوان الرســالة إلى الإسم اللاتينى الذى

اقترحه چورج مور بعد ترجمتها إلى اللغة الانجليزية على غرار الإسم اللاتينى الموسوم به كتاب سبينوزا « رسالة لاهوتية فلسفية » Tractatus Theologico-Politicus وقد قام أوجدن بترجمة الرسالة إلى اللغة الانجليزية بمعاونة بعض المتخصصين فى الفلسفة من أصدقاء ڤتجنشتين مثل فرانك رامزى ، ونشرها كيجان بول فى حوالى ثمانين صفحة باللغة الألمانية ، تقابلها صفحات مماثلة عليها الترجمة الانجليزية ، مع مقدمة لرسل تقع فى سبع عشرة صفحة يلخص فيها أهم أفكار ڤتجنشتين الفاسفية ويشرح أهم المصطلحات الواردة بها .

وتتكون « الرسالة » من سبع قضايا أساسية — هى فى نظر ڤتجنشتين أكثر عبارات الكتاب أهمية — رقمها بأعداد صحيحة تبدأ من ١ وتنتهى بالعدد ٧ وهى على التوالى : —

١ — العالم هو جميع ماهنالك .

٢ — إن ما هو هنالك ، أى الواقعة ، هو وجود الوقائع الذرية .

٣ — الفكر هو الرسم المنطقى للوقائع .

٤ — الفكر هو القضية ذات المعنى .

٥ — القضايا عبارة عن دالات صدق للقضايا الأولية . (والقضية الأولية هى دالة صدق نفسها) .

٦ — إن الصورة العامة لدالة الصدق هى : [قَ ، غَ ، ن ، (غَ)] وهى تقرأ هكذا : نسبة القضية المعينة إلى سياقها فى حالتى الاثبات والنفى .

٧ — إن مالا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه ، ينبغى أن يصمت عنه .

كما تتكون أيضاً من عبارات فرعية أخرى رقمها بأعداد عشرية مثل ٤,٥٢١,١ تكون شرحاً للقضايا الأساسية السابقة أو تعليقاً عليها ، فتكون العبارة رقم ١,١ مثلا تعليقاً على العبارة رقم ١ كما تكون العبارة رقم ٤,٥ شرحاً للعبارة رقم ٤ وللعبارات الموجودة بين رقم ٤ ورقم ٤,٥ وهكذا .

وتتكون أيضاً من عبارات فرعية أخرى رقمها ڤتجنشتين بأعداد مئوية مثل ١,١١ وهذه تكون تعليقاً على العبارات ذات الرقم العشرى مثل ١,١ وبالتالى على العبارة الأساسية رقم ١ وهكذا تتفرع العبارات بحيث تكون كل عبارة فرعية جديدة شرحاً لما سبقه أو تمهيداً لما يأتى بعدها من عبارات ، وفى هذا الصدد يقول ڤتجنشتين فى بداية رسالته » إن الأعداد العشرية كأرقام للقضايا المنفصلة توضح الأهمية المنطقية للقضايا ، وقد ركزت على هذا الموضوع أثناء حديثى فى هذا الكتاب . فالقضايا ١ن ، ٢ن ، ٣ن... الخ هى بمثابة الشروح للقضية ن كما أن القضـــايا ن م ١ ، ن م ٢ .... الخ تعتبر بمثابة التعليقات على القضية نوم ... وهكذا .

إلا أن ڤتجنشتين لا يلتزم التزاماً دقيقاً بهذه القاعدة فهو أحياناً يستخدم عبارات مرقمة باعداد مئوية أو ألفية لكى يتناول بها القضية الأصلية مباشرة ، كما هو الحال فى العبارة رقم ٢,٠١ التى تكون تعليقاً على العبارة السابقة لها مباشرة وهى رقم ٢ إذ ليس فى الرسالة وجود لعبارة رقمها (٢,٠) ، وكالعبارة رقم ٣,٠٠١ التى تكون تعليقا على العبارة السابقة لها مباشرة وهى رقم ٣ إذ لا وجود لعبارة رقمها (٣,٠٠) أو (٣,٠) فى الرسالة .

ولقد كانت طريقة كتابة الرسالة على هذا النحو من أهم الأسباب التى أدت إلى وصف هذا الكتاب الهام بالصعوبة بل وحتى بالغموض ، وهو رأى يجمع عليه كل من تناول « الرسالة » بالدراسة مثل ارستنيوس الذى يذهب إلى أن « الرسالة » عمل فلسفى بالغ الصعوبة ، ويعترف صراحة بعدم فهمه بعض عباراتها فيقول فى مقدمة كتابه « رسالة ڤتجنشتين

المنطقية الفلسفية » إن عبارات هذه الرسالة تنقسم إلى أربعة أنواع هي :

أولا : عبارات أعتقد أنني أفهمها وأظن أنها عبارات هامة ، وهي بالطبع أحسن أجزاء الرسالة .

ثانياً : عبارات أعتقد أنني أفهمها ، وإن كنت أظن أنها عبارات مضللة ، ولذا فإن قيمتها تكون تالية لقيمة العبارات الأولى .

ثالثاً : عبارات لم أفهمها ولذا فإنني لا أستطيع تحديد قيمتها .

رابعاً : عبارات تبدو من ناحية مما يمكن فهمه إلا أنها تبدو من ناحية أخرى تعطينا انطباعاً غامضاً غير محدد ، ولذا فهي ليست مما يتعذر قبوله أو رفضه .

٢ — ماكسويل تشارلزورث الذي يذهب في كتابه « الفلسفة والتحليل اللغوي » إلى أنه لا يوجد شيء في تاريخ الفلسفة كله يمكن أن يساعدنا على فهم الرسالة ، فهي مكتوبة على شكل سلسلة من الأقوال الفلسفية المفككة الغامضة .

٣ — فرانك رامزي الذي يذهب في كتابه « أسس الرياضيات » إلى أن الرسالة كتاب يصعب فهمه إلى أقصى حد .

٤ — أنسكوم التي ذكرت في كتابها « مقدمة لرسالة فتجنشتين » إن الأفكار في كتاب فتجنشتين كانت مضغوطة جداً حتى أصبح من الضروري أن يتوقف الإنسان عند كل كلمة لينظر في معناها حتى يمكنه أن يفهم عباراته الأمر الذي جعل باتون Paton يذهب في التمهيد الذي صدر به كتاب انسكوم إلى القول بأن الكتاب يتطلب مجهوداً كبيراً من القارئ حتى يستطيع أن يفهمه .

٥ — ماكس بلاك الذي يقول في مقدمة كتابه عن رسالة فتجنشتين اننا لا نكاد نجد عملا فلسفيا من الصعب فهمه والسيطرة عليه كما هو الحال بالنسبة لرسالة فتجنشتين .

٦ — براند بلانشارد الذي ذهب في كتابه « العقل والتحليل » إلى أن منطق فتجنشتين في الرسالة قد بلغ حداً من الصعوبة أن كان منطق هيجل إلى جانبه شيئاً واضحاً مفهوماً .

والواقع أن من يقرأ رسالة فتجنشتين يصطدم لأول وهلة بهذه الصعوبة أو بهذا الغموض ويصبح حاله كحال بتشر الذي يقول في مقدمة كتابه عن « فلسفة فتجنشتين » إن الرسالة كتاب صعب في عباراته عبارة عبارة ، وغالباً مايشعر الإنسان أثناء قراءته إياها لأول مرة بأنه قد فشل في فهم ماقد قيل في كل عبارة على حده . إلا أن فتجنشتين لم يكن يتعمد الصعوبة أو الغموض في رسالته ، بل كان يرمي دائماً إلى الوضوح بقدر الإمكان ، حتى إنه جعل من الوضوح الكامل شرطاً أساسياً للتفلسف ، وجعل وظيفة الفلسفة مقصورة على مجرد توضيح القضايا والعبارات بتحليلها تحليلا منطقياً يكشف عما إذا كانت ذات معنى أو لم تكن . ولقد عبر فتجنشتين عن هذا المعنى في أكثر من موضع من رسالته ، وخاصة في العبارة رقم ٤,١١٦ التي تقول « إن كل ما يمكن التفكير فيه على الإطلاق يمكن التفكير فيه بوضوح ، وكل ما يمكن قوله ، يمكن قوله بوضوح » .

ونحن لو تخلينا عن محاولة فهم كل عبارة من العبارات الأساسية في الرسالة على حدة ، لوجدناها أشبه ماتكون بالكل المترابط ولأضحت أمامنا خطاً فكرياً متصلا يبدأ من العبارة رقم ١ وينتهي بالعبارة رقم ٧ مارا بالعبارات الفرعية المتوسطة التي تزيده إيضاحاً وغنى وثراء . فهو يتكلم في العبارة الأولى عن العالم وتحليله ، ثم يتناول الوحدات النهائية التي ينحل اليها العالم . وهي الوقائع الذرية في العبارة الثانية ، ثم يربط بين الفكر وبين هذه الوقائع الذرية في العبارة الثالثة ، ثم بين الفكر واللغة في العبارة الرابعة ، وبالتالي بين اللغة وبين العالم فيكون الفكر هو القضية ذات

المعنى . ثم يحلل اللغة فى العبارة الخامسة ، منتهيا إلى أن جميع القضايا عبارة عن دالات صدق للوحدات الأولى التى تنحل إليها اللغة وهى القضايا الأولية . ثم يتكلم عن تعميم القضية وكيفية الوصول إلى صورة عامة لكل قضية ذات معنى ، أى تكون دالة صدق لقضايا أولية موضحاً الصورة العامة لدالة الصدق فى العبارة السادسة ، ثم يختم رسالتــه بالعبارة السابعة التى ينصحنا فيها بأن نسكت عن الكلام إذا لم نستطع أن نقول كلاما يأخذ شكل الصورة العامة لدالة الصدق الواردة فى العبارة السادسة التى تعبر عن الصورة العامة للقضايا ذات المعنى .

* * *

فلسفة فتجنشتين فى الرسالة :

يمكننا أن نعرض بايجاز لأهم أفكار فتجنشتين الواردة فى رسالته — وخاصة ما يتعلق منها بالفلسفة والمنطق وكانا موضع اهتمامه الرئيسى فيها — من خلال عرضنا لتحليلاته المختلفة ، وذلك على النحو الآتى :—

أولا : معنى الفلسفة ووظيفتها :

يربط ڤتجنشتين بين الفلسفة والتحليل ، وهو بذلك يعطى للتفلسف بعداً جديداً غير الأبعاد التى كانت تستخدم فى إقامة نسقات فكرية ميتافيزيقية متماسكة . فالفلسفة عنده منهج يتبع وأسلوب يصطنع فى تناول المشكلات وليس تفكيراً تأملياً مجرداً يهدف إلى إقامة نسقات مثالية ، إنها طريقة لحل مشكلات الفلسفة لا إلى خلق مشكلات جــديدة وإضافة صعوبات أخرى فى طريق الفكر الإنسانى . إنها تحليل للمشكلات عن طريق تحليل عبارات اللغة التى نصوغ فيها تلك المشكلات وقد عبر فتجنشتين عن ذلك المعنى بقوله فى العبارة رقم ٤٫١١٢ « إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقى للأفكار . فالفلسفة ليست نظرية من النظريات ، بل هى فاعلية . ولذا يتكون العمــل الفلسفى أساساً من توضيحــات ، ولا تكون نتيجة الفلسفة عدداً من القضايا الفلسفية إنما هى توضيح للقضــايا . فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة ، وإلا ظلت تلك الأفكار معتمة ومبهمة — إذا جاز لنا هذا الوصف » .

والتحليل عند ڤتجنشتين هو السمة البارزة فى فلسفته ، بل إن بعض مؤرخى الفلسفة المعاصرة — مثل ماكويل — يذهبون إلى أننا نستطيع أن نتكلم لأول مرة بطريقة صحيحة عن وجود فلسفة للتحليل حينما نتكلم عن فلسفة ڤتجنشتين .

وهو يستخدم التحليل كمنهج فى الفلسفة لا كغاية فلسفية ، فهو لا يستهدفه لمجرد تقسيم العالم إلى عدد من الوقائع ، أو لرد اللغة إلى عدة قضايا ، إنما يستخدمه كى يوصله إلى غاية أبعد من ذلك ، هى توضيح المشكلات الفلسفية — وخاصة الميتافيزيقية — التى إذا حللناها زال عنها كل غموض ، واتضح أنها مشكلات زائفة ، أو أنها ليست بمشكلات أصلا .

والتحليل عند ڤتجنشتين لا يضيف إلى معرفتنا معرفة جديدة ، ولا تنتج عنه مبادئ جديدة ، بل هو مجرد طريقة توضح ما نقوله — لكى نتبين بناء عليها — ما له معنى من كلامنا وما لا معنى له .

ومنهج التحليل عند ڤتجنشتين كما يتمثل فى « الرسالة المنطقية الفلسفية » ، يعتمد على رد ما هو مركب إلى عناصره الأولى ، أو وحداته الأولية البسيطة التى لا تنحل إلى ما هو أبسط منها . فالعالم عنده بناء على ذلك ينحل إلى وقائع (عبارة رقم ١٫١)، والوقائع تنحل إلى أشياء أو بسائط (عبارة رقم ٢٫٠١)، كما أن اللغة تنحل إلى مجموعة من القضايا الأولية (٤٫٥٢) والقضية الأولية تنحل إلى أسماء (٤٫٢٢) وهكذا .

ثانيا : تحليل العالم :

يبدأ فتجنشتين رسالته المنطقية الفلسفية بالحديث عن العالم فى حين أن الغرض الأساسى من فلسفته فى هذه الرسالة هو تحليل اللغة ، وبيان كيف يكون سوء فهمنا لمنطقها هو السبب فى كثير من مشكلات الفلسفة . وكان الأولى به أن يبدأ بحثه باللغة وتحليلها إلا أنه فضل أن يبدأ بتحليل العالم . وأرجح أن يكون مرجع تفضيله هذا إلى أن تحليل اللغة بالطريقة التى ذهب إليها فى رسالته يستلزم تحليل العالم أولا لأن صدق أو كذب القضايا الأولية التى تنحل إليها اللغة إنما يتوقف على مدى مطابقتها ، للواقع الخارجى ، لأن القضية الأولية ليست إلا وصفاً لواقعة من الوقائع التى ينحل إليها العالم .

والعالم عند ڤتجنشتين « هو جميع ما هنالك » (عبار رقم ١)، فهو يتكون من كل ما هو موجود ، وإن كان وجود هذه الموجودات يتبدى فى شكل وقائع لا فى شكل أشياء بسيطة منفصلة . ولذا فالعالم عنده « هو مجموع الوقائع لا الأشياء » (١،١) ، أى أن الواقعة هى الوحدة الأولى التى ينتهى إليها تحليل العالم وإن كانت هى نفسها تنحل بدورها إلى أشياء . وهو فى هذا يتفق مع رسل الذى يذهب فى « فلسفة الذرية المنطقية » إلى أن « العالم الخارجى لا يمكن وصفه وصفاً كاملا بواسطة مجموعة من الأشياء المفردة ، بل يجب أن ندخل فى اعتبارنا أيضاً هذه الأشياء التى أسميها بالوقائع » ، فالواقعة عند رسل ليست شيئاً جزئياً ، بقدر ما هى مركبة من شىء (أو أكثر) بالإضافة إلى صفاته وعلاقاته .

كما يتفق كذلك مع تشالز بيرس الذى يذهب إلى أن الوجود الخارجى يتعلق أولياً بالوقائع ولا يتعلق بالأشياء إلا من حيث عناصر هذه الوقائع .

ثالثاً : تحليل الوقائع

لا يكاد القارىء لرسالة ڤتجنشتين يجد تعريفاً محدداً لمعنى الواقعة ، إنما يمكن القول بأنها هى ما تجعل القضية صادقة أو كاذبة . وهو يستخدم كلمة واقعة فى رسالته على أكثر من نحو : —

(ا) فالواقعة إما مركبة Tatsache (fact) تتكون منها وقائع أخرى أبسط منها وإما بسيطة لا تتكون من وقائع أخرى أبسط منها ، ويسميها ڤتجنشتين بالواقعة الذرية Sachverhalt . والوقائع الذرية هى : —

١ — أبسط ما يمكن أن ينحل إليه الوجود الخارجى فاذا قلت مثلا « سقراط حكيم » جاء هذا القول معبراً عن واقعة ذرية ، أما إذا قلت « سقراط حكيم وأفلاطون تلميذه جاء قولك معبراً عن واقعة مركبة لا واقعة ذرية بسيطة .

٢ — على من كونها أبسط وحدات ينتهى إليها تحليلنا للعالم، إلا أنها هى فى حد ذاتها مما يمكن تحليله . وليس فى هذا تناقض ، فالواقعة الذرية بسيطة من حيث أنها أبسط مستوى من الوقائع يمكن أن ينتهى إليه تحليلنا للعالم ، وهى مركبة بمعنى أنها تتكون من أشياء أو عناصر بسيطة . وهذا ما يفسر لنا قول ڤتجنشتين « إن العالم مجموع الوقائع لا الأشياء » (عبارة رقم ١،١) لأن الأشياء بالنسبة له ليس لها وجود مستقل منفصل عن الوقائع التى تدخل فى تكوينها — « فمن جوهر الشىء أن يكون مكوناً ممكناً لواقعة ذرية ما » (٢،٠١١) — ولذا فالأشياء تتضمن إمكان حملها لأية حالة من حالات الواقع (٢،٠١٤) — « وكما أننا لا نستطيع تخيل الأشياء المكانية خارج المكان ، ولا الأشياء الزمانية خارج الزمان ، فكذلك لا نستطيع أن نتخيل شيئاً ما معزولا عن إمكان ارتباطه بأشياء أخرى (٢،٠١٢١) وعلى ذلك

فالشيء في ذاته ليس له وجود منفصل عن الواقعة، بمعنى أن ما له وجود هو الوقائع لا الأشياء ، وإن كان وجود الوقائع معتمداً على وجود الأشياء .

٣ – انها مستقل بعضها عن بعض بحيث اننا « لانستطيع من وجود أو عدم وجود واقعة ذرية ما أن نستنتج وجود أو عدم وجود واقعة ذرية أخرى » (٢,٠٦٢) فمن وجود واقعة ذرية ولتكن ق (الكتاب أزرق) مثلا لا نستطيع أن نستنتج وجود واقعة أخرى ل (الكتاب على يمين القلم) أو عدم وجود واقعة أخرى مثل م (الكتاب بين القلم والمحبرة) إذ ليست هناك ضرورة منطقية ولا واقعية تستلزم مثل هذا الاستدلال .

٤ – انها مكونة من أشياء مرتبطة بعلاقات معينة وليست مجرد مجموعة من الأشياء ، وفى هذا الصدد يقول فتجنشتين « ان التركيبة التى قوامها أشياء هى التى تشكل الواقعة الذرية » (٢,٠٢٧٢) « ففى الواقعة الذرية تتشابك الأشياء أحدها بالآخر كحلقات السلسلة » (٢,٠٣) « أوهى ترتبط بعضها ببعض على نحو محدد » (٢,٠٣١) والطريقة التى تتشابك بها الأشياء فى الواقعة الذرية يسميها فتجنشتين ببنية الواقعة ، أما إمكان ترابط الأشياء على نحو معين ، أى إمكان قيام هذه البنية فيسميه بصورة الواقعة . وعلى ذلك فبنية الواقعة تتعلق بالواقعة نفسها ، بينما صورة الواقعة تتعلق بالأشياء التى تتكون منها هذه الواقعة وبامكان ترابط هذه الأشياء على هذا النحو أو ذاك ، أى فى هذه الواقعة أو تلك .

٦ – هى ليست ثابتة بل متغيرة ، أما الثابت فهى الأشياء التى تتكون منها الوقائع الذرية ، ويعبر فتجنشتين عن هذا المعنى بقوله فى العبارة رقم ٢,٠٢٧١ « ان الشئ هو الثابت ، وهو الموجود ، أما المتحول المتغير فهو البناء المركب من أشياء » والتركيبة التى قوامها أشياء هى التى تشكل الواقعة الذرية .ولتوضيح ذلك أقول : لو كانت أمامى ثلاثة أشياء أرمز لها بالرموز ا ، ب ، حـ مرتبة على النحو التالى فى واقعة ذرية (ب بين ا ، حـ) فان هذه الواقعة يمكن أن تتغير بتغير العلاقة الموجودة بين العناصر التى تكونها ، فتصبح مثلا (ا بين ب ، حـ) وتكون هذه واقعة جديدة غير الواقعة الذرية الأولى . وقد تتغير هذه الواقعة الجديدة فتصبح مثلا (حـ بين ب ، ا) وهى واقعة تختلف عن الواقعتين السابقتين .. وهكذا ظلت ا ، ب ، حـ ثابتة بينما تغيرت الوقائع بتغير الروابط التى تربط بين هذه العناصر الثابتة .

(ب) والواقعة أيضاً إما أن تكون موجبة فتشير إلى ترابط الأشياء على نحو معين فى الواقع الخارجى كأن أقول (القلم على يمين الكتاب) ويكون القلم موجوداً بالفعل على يمين الكتاب . وإما أن تكون سالبة فلا تمثل الطريقة التى توجد بها الأشياء فى الواقع الخارجى ، وفى هذا الصدد يقول فتجنشتين ان « وجود الوقائع الذرية أيضاً يسمى بالواقعة الموجبة وعدم وجودها يسمى بالواقعة السالبة » (عبارة رقم ٢,٠٦) . ولتوضيح ذلك نفترض أن العالم كله يحتوى على ثلاثة أشياء هى ا ، ب ، حـ نسميها على التوالى بالرموز التالية : ل ، م ، ن فى هذه الحالة يمكننا أن نكون القضايا الذرية الآتية :

١ – ل م بحيث تشير إلى الواقعة الذرية المكونة من ا ، ب ولنرمز لها بالرمز ق١ .

٢ – م ن بحيث تشير إلى الواقعة الذرية المكونة من ب ، حـ ولنرمز لها بالرمز ق٢ .

٣ – ل ن بحيث تشير إلى الواقعة الذرية المكونة من ا ، حـ ولنرمز لها بالرمز ق٣ .

ولنفرض أن القضيتين الأوليتين ل م ، م ن فقط صادقتان ، أما القضية الأخيرة (ل ن) فهى كاذبة . فى هذه الحالة سيكون العالم مكوناً من

واقعتين ذريتين فقط هما $ق_1$ ، $ق_2$ بحيث يعبر اتصالها معاً عن كل الصدق الموجود فى العالم .

لكن قد يكون هناك من يعترض على ذلك القول بأننا أهملنا فى حديثنا عن العالم شيئاً آخر بالإضافة إلى $ق_1$ ، $ق_2$ هو عدم وجود الواقعة المكونة من ا ، حـ . فى هذه الحالة يمكن القول بأن العالم مكون من ثلاث وقائع هى : $ق_1$ ، $ق_2$ ، لا $ق_3$ وسنحتاج بالتالى إلى قضية سالبة لا موجبة لكى نعبر بها عن لا $ق_3$ أو عن عدم وجود $ق_3$. ولكن لكى يكون قولنا هذا صحيحاً ، لا بد — بناء على رأى ڤتجنشتين — أن يكون هناك فى الواقع الخارجى ما يجعل هذه القضايا صادقة ، لأنه « إذا كانت القضية الأولية صادقة ، كانت الواقعة موجودة ، وإذا كانت كاذبة ، كانت غير موجودة » (عبارة رقم ٤,٢٥) ، وهو شرط متوفر بالنسبة للقضيتين الأوليتين (ل م) ، م ن اللتين تعبران عن الواقعتين $ق_1$ ، $ق_2$ على التوالى ، لكنه لا ينطبق على القضية الثالثة لا (ا حـ) التى عبرنا عما تشير إليه بالرمز لا $ق_3$. إلا أن الرمز لا $ق_3$ لا يعنى وجود الواقعة ، أو هو يعنى عدم وجود مجموعة مكونة من ا ، حـ فى الواقع الخارجى .

إذن ما الذى يقابل هذه القضية السالبة فى الواقع الخارجى ؟ يقابلها عدم اتصال ا ، حـ فى مجموعة واحدة أو واقعة ذرية معينة ، وعلى ذلك فان صدق لا ق ٣ يرجع إلى انفصال ا عن حـ أو عدم وجود واقعة مكونة من ا ، حـ فى العالم .

رابعاً . تحليل اللغة :

كان تحليل اللغة هو الهدف الأساسى من فلسفة ڤتجنشتين بصفة عامة ، وفى رسالته المنطقية الفلسفية على وجه الخصوص ، وقد عبر ڤتجنشتين عن هذا المعنى فى أكثر من موضع من رسالته . وهو حين يحلل اللغة ينتهى إلى أن أبسط وحدة نصل إليها هى القضية لا الإسم ، كما كان الحال فى تحليله للعالم حين انتهى إلى الوقائع لا إلى الأشياء . « فاللغة هى مجموع القضايا » (عبارة رقم ٤,٠٠١) كما أن العالم هو مجموع الوقائع لا الأشياء .

هذا ويمكننا تصنيف القضايا عند ڤتجنشتين طبقاً لتحليلاته المختلفة فى الرسالة على النحو الآتى

ا — من حيث الصدق أو الكذب — وهى عنده ثلاثة أنواع : —

١ — قضايا صادقة بالضرورة ، أى صادقة فى جميع الظروف الممكنة ولا يمكن تصورها على أنها كاذبة على الإطلاق ، ويسميها ڤتجنشتين بقضايا تحصيل الحاصل Antology ويمثل لها بالقضايا المنطقية والقضايا الرياضية ، مثل قضايا الذاتيـة (ا ، هـ ، ا) ، والقضية الرياضية (٢ + ٢ = ٤) . وهى فى نظره لاتقول شيئاً فانى لا أعرف مثلا أى شئ عن حالة الطقس حين أعرف أن السماء إما أن تمطر أولا تمطر » (عبارة رقم ٤,٤٦١) .

٢ — قضايا كاذبة بالضرورة ، أى كاذبة فى جميع الظروف الممكنة ، ولا يمكن تصورها على أنها صادقة على الاطلاق ، ويسميها ڤتجنشتين بقضايا التناقض مثل (ا هـ لا ا) أو (ا هى ب ولا ب) .

٣ — قضايا يمكن تصورها على أنها صادقة ، كما يمكن تصورها على أنها كاذبة ويكون حكمنا فى هذه الحالة على مدى صدق القضية أو كذبها بناء على مقارنتها بالوجود الخارجى الذى تصوره ، وهى القضايا التجريبية أو قضايا العلوم .

ب — من حيث المعنى .. وهى عند ڤتجنشتين على نوعين هما :

١ — قضايا لها معنى لأنها تقول شيئاً مثل القضايا

التجريبية أو العلمية التى تتحدث عن الوجود الخارجى فتجىء رسما له سواء كان هذا الرسم مطابقاً للواقع فتكون القضية صادقة ، أو غير مطابق للنمو الذى يوجد عليه الواقع فتكون كاذبة .

٢ — قضايا خالية من المعنى لأنها لا تقول شيئاً بحكم تركيبها مثل قضايا الرياضة وقضـــايا المنطق وكذا قضايا الميتافيزيقا .

فقضايا المنطق تحصيلات حاصل ولذا فهى قضايا تحليلية لا تخبرنا خبراً جديداً عن الواقع الخارجى وهذا ما يفسر السبب فى « عدم إمكان إثباتها تجريبيا بأكثر من رفضها تجريبيا ، إذ لا يكفى فى قضية المنطق استحالة أن تنقضها أية خبرة ممكنة ، بل لابد لها كذلك من استحالة أن تؤيدها أية خبرة ممكنة » (العبارة رقم ٦،١٢٢٢) .

وقضايا الرياضيات أيضاً تحصيلات حاصل طالما أن « الرياضيات هى إحدى طرق المنطق » عبارة رقم ٦،٢ عند ڤتجنشتين . ولذا فصدق أو كذب القضية التحليلية رياضية كانت أو منطقية لا يتوقف على مدى مطابقتها للواقع الخارجى لنتحقق مما إذا كانت تصوره أم لا ، بل يتوقف على مدى اتساق القضية نفسها بحيث لا تبدو متناقضة بذاتها ، كما هو الحال فى القضية الرياضية التى هى عبارة عن معادلة ، والتى يكون صدقها موجوداً فى القضية نفسها لا بمقارنتها بالوجود الخارجى . فاذا كان هناك تعبيران يرتبط أحدهما بالآخر بعلاقة التساوى ، مثل ٤ + ٦ = ١٠ » فإن ذلك يعنى إمكان استبدال أحـــدهما بالآخر ويلزم أن يكون ذلك بارزاً فى التعبيرين معاً على حد سواء » عبارة رقم ٦،٢٢ أى واضحاً فى القضية نفسها .

وهذا ما ينطبق أيضاً عند ڤتجنشتين على قضايا الفلسفة وخاصة الميتافيزيقا « فمعظم القضايا والأسئلة التى كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة ، بل هى خالية من المعنى . فلسنا نستطيع اذن أن نجيب عن أسئلة من هذا القبيل ، وكل مايسعنا هو أن نقرر عنها أنها خالية من المعنى عبارة رقم ٤،٠٠٣

حـ — من حيث الكيف .. وهى عنده نوعان هما :

١ — قضايا موجبة — وهى التى تفيد فى رسالة ڤتجنشتين أن الأشياء الموجودة فى العالم الخارجى قد ترابطت على نحو معين فى واقعة ما ، وهى قد تكون صادقة إذا جاء ما تفيده القضية رسماً صادقاً للواقع الخارجى وإلا كانت كاذبة .

٢ — قضايا سالبة — وهى التى تفيد فى فلسفة ڤتجنشتين أن الأشياء الموجودة فى العالم الخارجى ليست مترابطة على نحو معين مثل « لا (ا ع) ب » وهى أيضاً قد تكون صادقة أو كاذبة بقدر تصويرها للواقع الخارجى .

د من حيث الكم .. وهى عند ڤتجنشتين على نوعين رئيسيين هما : —

١ — قضايا تصدق كل منها على واقعة واحدة فقط ، كأن أقول « سقراط مفكر » أو « القلم على يمين الكتاب » ، وهى ما يسميها ڤتجنشتين بالقضية الأولية Elementarsatz ويسميهـــا رسل بالقضية الذرية فى مقابل الواقعة الذرية التى ترسمها هذه القضية .

والقضية الأولية هى الوحدة النهائية التى يرتد إليها تحليلنا للغة ، هى أبسط أنواع الكلام لأنها تعبر عن أبسط أنواع الوحدات التى ينحل إليها الوجود الخارجى وهى الوقائع الذرية . وكما أن الواقعة الذرية تتكون من أشياء ، فكذلك تتكون القضية الأولية من أسماء تشير إلى هذه الأشياء . وكما أن الأشياء ترتبط فى الواقعة الذرية على نحو أو آخر ، فكذلك تترابط الأسماء فى القضية الأولية على هذا النحو أو ذاك بحيث تجئ رسماً صادقاً أو كاذباً لما هو موجود فى الواقع .

والقضية الأولية لا ترسم الواقعة الذرية فقط عند ڤتجنشتين ، بل إنها تثبت وجودها أيضاً ، وهو فى هذا الصدد يقول « إن أبسط قضية ، أى القضية الأولية ، تثبت وجود واقعة ذرية ما » عبارة رقم ٤,٢١ . فاذا قلت « ا على يمين ب » فهذا يعنى أن الوجود الخارجى موجود على النحو الذى أوضحته . وهو كون ا على يمين ب بالفعل — إذا كانت القضية صادقة . وهذه الفكرة عند ڤتجنشتين هى ما تسمى باسم النظرية التصويرية للغة ، تلك النظرية التى لزم عنها قوله بفكرة تحقيق القضية — وهى الفكرة المعروفة فى الفلسفة الوضعية بمبدأ التحقق — على الرغم من أنه لا يكاد يستخدم كلمة تحقق verification فى فلسفته، بل نجده يستخدم كلمة مقارنة فيقول فى العبارة رقم ٢,٢٢٣ « لكى نكشف عما إذا كان الرسم صادقاً أو كاذباً يلزم أن نقارنه بالوجود الخارجى » ، كما يقول فى العبارة رقم ٤,٠٥«أن الوجود يقارن بالقضية».

كما ترتب أيضاً على قول ڤتجنشتين بتحقيق القضية بمقارنتها بالواقع الخارجى ، نتيجة على جانب كبير من الأهمية فى فلسفته وهى القول بالأنا وحدية (أو الأنانة Solipsism)أو بالمثالية الذاتية المتطرفة : إذ أن مقارنة الوجود بالقضية تتم حين تكون الواقعة حاضرة فى خبرة الشخص الذى يعقد هذه المقارنة حتى يمكنه معرفة ما إذا كان هناك تطابق بينهما أم لا . ولما كانت الخبرة شيئاً خاصاً بالضرورة ، شيئاً شخصياً أو ذاتياً ، لزم عن ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف شيئاً على أنه موجود باستثناء ما يقع فى خبرته هو ، الأمر الذى يجعل معنى العالم مقصوراً على ما يدركه الإنسان ويستطيع أن يعبر عنه باللغة . كما يضيق من مفهوم اللغة ذات المعنى فتصبح محدودة بما يقوله الإنسان من قضايا تعبر عما يقع فى خبرته هو . وقد عبر ڤتجنشتين عن هذه النتيجة بقوله « إن معنى أن العالم هو عالمى ، يتبدى فى الحقيقة القائلة بأن حدود اللغة (اللغة التى أفهمها) تعنى حدود عالمى » (عبارة رقم ٥,٦٢) وهو بهذا يقترب إلى حد كبير من مثالية بركلى الذاتية المتمثلة فى عبارته المشهورة « الوجود هو الإدراك » ، وإن كان قد حاول التخلى عن هذه الفكرة فى فلسفته المتأخرة بعد ذلك .

والقضايا الأولية مستقلة منفصلة كل واحدة منها عن الأخرى ، شأنها شأن الوقائع الذرية التى ترسمها : فلا تتضمن أية واحدة منها واحدة أخرى ولا تتناقض معها لأن كل استدلال منطقى يتعلق عند ڤتجنشتين بالقضايا غير الأولية ، « فلا يمكن استدلال أية قضية أولية من قضية أولية أخرى » (عبارة رقم ٥,١٣٤) ، فاذا قلت مثلا « سقراط حكيم » فان صدق هذا القول لا يستلزم صدق أو كذب القول بأن « سقراط أثينى » . أو بالعكس والقضايا الأولية تتصف كذلك بصفة بالغة الأهمية بالنسبة لمنطق ڤتجنشتين ، وهى أنها أساس صدق للقضايا ، بمعنى أن القضايا الأولية هى التى تخلع الصدق على القضايا » (عبارة رقم ٥,٠١) طالما أن « القضايا هى كل شىء ينتج عن القضايا الأولية » (عبارة رقم ٤,٥٢) بناء على اتخاذ إجراء معين إزاء إحدى القضايا الأولية . ويمثل ڤتجنشتين لهذه الإجراءات بالنفى والجمع المنطقى والضرب المنطقى والتعميم . . . مثل (لا ق) التى تنتج عن القضية الأولية (ق) بتطبيق إجراء النفى .

٢ — قضايا لا تصدق كل منها على واقعة واحدة بل أكثر ، ولذا فهى ليست قضايا بالمعنى الحقيقى عنده بقدر ما هى دالات صدق للقضايا الأوليـــة . وڤتجنشتين يستخدم كلمـــة دالة function بالمعنى الذى تستخدم به فى الرياضة ، فاذا كانت ص = ٢س + ٥ مثلا، كانت ص هى دالة س بمعنى أن قيمة س هى التى تحدد قيمة ص ،وأن قيمة ص تتوقف على قيمة س ،

فلو كانت قيمة س هى ٣ فى المثال السابق ، كانت ص = ١١ . وهذا هو نفس المعنى الذى يذهب إليه ڤتجنشتين حين يقول إن جميع القضايا عبارة عن دالات صدق للقضايا الأولية ، بمعنى أن صدق هذه القضايا أو كذبها يتوقف على صدق أو كذب القضايا الأولية . فاذا كانت كل من ق ، ل قضية أولية ، كانت العبارة (ق ، ل)وكذا العبارة (إما ق أو ل) مثلا دالة صدق لكل من القضيتين الأوليين ق ، ل بمعنى أن صدق أو كذب أى من العبارتين يتوقف على صدق أو كذب ق وكذا على صدق أوكذب ل .

ومثل هذا النوع من القضايا (أو بالأحرى دالات الصدق تبعاً لنظرية ڤتجنشتين) ينقسم بدوره إلى نوعين فى « الرسالة » هما :

(ا) قضايا مركبة : : وتتحدث عما هو مركب من واقعتين أو أكثر ، ولذا فهى تتكون من أكثر من قضية أولية واحدة . مثل قولى « سقراط حكيم وأفلاطون تلميذه » الذى يتكون من قضيتين أوليين هما « سقراط حكيم » و « أفلاطون تلميذ سقراط» أو قولى « القلم على يمين الكتاب وهو قلمى » وهو قول يتكون من قضيتين أوليين هما : « القلم على يمين الكتاب » و « القلم قلمى » .

والقضايا المركبة ليست إلا دالات صدق للقضايا الأولية التى تتركب منها عند ڤتجنشتين ، بمعنى أن صدقها أو كذبها إنما يتوقف على صدق أو كذب هذه القضايا الأولية .

ب ــ قضايا عامة (كلية) مثل قولى « الإنسان مفكر » ، وهو قول لا يشير إلى فرد أو جزئية واحدة بل يتكلم عن صفة نصف بها أو خبر نخبر به عن أى فرد أو جزئية يمكن أن يندرج تحت فئة بعينهـــا هى موضوع الحديث . ومثل هذه القضايا ليست بالقضايا الأولية لأنها لا تشير إلى واقعة ذرية واحدة ، بل هى دالات صدق لقضايا أولية أجرينا عليها إجــراء التعميم بحيث يتوقف صدقها أو كذبهـــا على صدق أو كذب القضايا الأولية التى عممناها . فاذا كانت لدى قضية أولية مثل « سقراط عاقل » وأجريت عليها إجراء التعميم فوضعت اسما متغيرا (انسان) بدلا من الاسم الثابت (سقراط) لحصلت على القضية الكلية التالية « الانسان عاقل » وهى عند ڤتجنشتين مجرد دالة قضية وليست بالقضية ، لأن صدقها أو كذبها يتوقف على صدق او كذب القضايا الأولية التى تتكون من أسماء مثل سقراط ، محمد ، هى كل قيم متغير القضية الكلية (أى الانسان) .

* * *

موضع الرسالة فى فلسفة ڤتجنشتين :

تعبر الرسالة تعبيراً صادقاً عن فلسفة ڤتجنشتين فى المرحلة الأولى من مراحل تفكيره الفلسفى ، وكان يعتقد ــ وقت كتابته إياها ــ أنه قد توصل بها إلى حل جميع مشكلات الفلسفة فنراه يقول فى مقدمة الرسالة ان الأفكار التى سيقت هنا يستحيل الشك فى صدقها ، أو هى أفكار مقطوع بصدقها ، ولذا فاننى أعتقد أن ماهو أساسى فى مشكلات الفلسفة قد تم حله نهائياً .

إلا أنه بدأ يراجع أفكاره مرة أخرى بعد أن تبين فيها بعض الأخطاء ، نتيجة لمناقشاته مع بعض أعضاء جماعة ڤينا مثل شليك وڤايزمان ، فضلا عن نقد بيرو سرافا Sraffa وفرانك رافرى الذى يعطى له ڤتجنشتين أهمية كبرى فى مقدمة كتابه « أبحاث فلسفية » .

ومما لاشك فيه أن أهم نقد وجه إلى رسالة ڤتجنشتين كان منصباً على الفكرة الرئيسية التى تدور حولها رسالته ، وهى معرفة حدود اللغـــة حتى لا نتكلم فيما لا يمكن الكلام فيه ولا نقول إلا مايمكن أن يقال . ولما كان كل ما يمكن قوله عند ڤتجنشتين

هى قضايا العلم الطبيعى التى تتناول العالم الخارجى ، كانت قضايا الفلسفة والميتافيزيقا بوجه خاص خالية من المعنى ، وكانت قضاياه الواردة فى الرسالة نفسها مجرد لغو لا معنى له . ولقد كان ڤتجنشتين نفسه واعياً بذلك الموقف لكنه كان يحاول تبريره فيذهب إلى أنها قضايا ذات فائدة على الرغم من خلوها من المعنى لأنها تكون فى نظره أشبه بالدرجات التى يستخدمها الانسان فى الصعود إلى أعلى فيتجاوزها ، ثم يلقى بالسلم بعيداً بعد أن يكون قد حقق وظيفته فيقول فى هذا الصدد « ان قضاياى توضح الموقف على النحو التالى : ان من يفهمنى سيعلم آخر الأمر أن قضاياى كانت بغير معنى وذلك بعد أن يكون قد استخدمها (سلما) فى الصعود ، أى صعد عليها ليجاوزها » (عبارة رقم ٦,٥٤) .

إلا أن هذا التبرير الذى فسر به ڤتجنشتين موقفه من قضاياه الفلسفية لم يكن تبريراً مريحاً لدى الكثيرين مثل كارنب ورسل وكورنفورث وغيرهم . لكننا إذا ما ناقشنا هذه الفكرة ، فربما يتبين لنا أن نقدر رسالة ڤتجنشتين على هذا النحو وهو كذلك يحتاج إلى تبرير ، لأننا إذا ما اعتبرنا أن قضايا الرسالة مجرد لغو ، فسنكون قد توصلنا إلى هذا الحكم اعتماداً على بعض عبارات الرسالة نفسها — مثل العبارة رقم ٤,٠٠٣ ورقم ٦,٥٢٢ ورقم ٦,٥٣ التى تفيد أن قضايا الفلسفة والميتافيزيقا خالية من المعنى .

ونحن فى هذه الحالة : — ١ — إما أن نعتقد فى صحة هذه العبارات . وبالتالى يكون لها معنى . ومن ثم فاننا نحكم على الرسالة بأنها خالية من المعنى أو مجرد لغو . لكن هذه العبارات هى بعض عبارات الرسالة نفسها ، فهى بالتالى خالية من المعنى شأنها شأن بقية عبارات الرسالة ، وعلى ذلك فهى ذات معنى ، وهى خالية من المعنى فى الوقت نفسه وهذا تناقض .

٢ — وإما ألا نعتقد فى صحة هذه العبارات ، وفى هذه الحالة لا نستطيع أن نحكم على القضايا الواردة فى الرسالة بأنها خالية من المعنى :

بمعنى آخر أننا نجد دوراً فى هذا النقد ، لأن المعيار الذى أحكم بناء عليه بخلو قضايا الرسالة من المعنى ، هو نفسه أحد أجزاء الرسالة ، فهو أيضاً خال من المعنى وبالتالى لا يصلح لأن يكون معياراً استخدمه فى الحكم على غيره طالما أنه هو نفسه لا يفيد أى معنى .

والرأى عندى أن ڤتجنشتين حين قال إن عباراته الواردة فى الرسالة على الرغم من أنها خالية من المعنى إلا أنها تعتبر لغوا له أهمية ، كان يفيد نفس المعنى الذى ذكره من قبل عن تحصيل الحاصل ، وعن معنى الصفر فى الرياضة . فعلى الرغم من أن قضايا تحصيل الحاصل والتناقض لا تفيد شيئاً ولا معنى لها عند ڤتجنشتين ، إلا أنها ليست خالية تماماً من المعنى « إنها جزء من الجهاز الرمزى ، على نفس النحو الذى يكون فيه » الصفر « جزءاً من الجهاز الرمزى الخاص بالحساب » (عبارة رقم ٤,٤٦١١) . وكأن ڤتجنشتين كان يريد القول بأننا كما نستخدم الصفر فى الجهاز الرمزى الخاص بالحساب على الرغم من أنه لا يشير إلى فئة معينة من الأشياء ولا يعتبر متغيراً شأنه شأن بقية الأعداد الأخرى ، وكما أننا نستخدم تحصيل الحاصل وكذا التناقض فى الجهاز الرمزى الخاص بالقضايا وإمكانات الصدق ، فكذلك نحن نستخدم قضايا الفلسفة لكى نرتفع فوقها ونجاوزها على الرغم من أنها فى نظره خالية من المعنى .

وعلى العموم ، فقد بدأ ڤتجنشتين يراجع أفكاره الفلسفية الواردة فى « الرسالة » فيما بعد ومن بينها أفكاره عن اللغو والخلو من المعنى وكذا فكرته عن الذرية المنطقية ، ونظريته التصويرية للغة ، وفكرته

عن طبيعة المعنى وفكرته عن الأنا وحدية . . وغير ذلك .

فهو مثلا يتخلى عن فكرته التى افتتح بها «رسالته» من أن العالم ينحل إلى وقائع ذرية تتكون من أشياء أو من بسائط منطقية .. إذ أن السبب الأساسى الذى دعا ڤتجنشتين إلى القول بتحليل العالم إلى وقائع ، كان هو ضرورة وجود وحدات أولية ينحل إليها العالم ، لكى تقابل الوحدات الأولية التى تنحل إليها اللغة — أى أن تحليله للعالم على هذا النحو جاء تبريراً لتحليله للغة إلى مجموعة من القضايا الأولية .

ولما غير ڤتجنشتين من وجهة نظره بتحليل اللغة فى فلسفته المتأخرة (التى تتمثل فى كتابه « أبحاث فلسفية تخلى بالتالى عن فكرته السابقة فى تحليل العالم .

* * *

وأخير لم يكن ڤتجنشتين مهتما بالنتائج الفلسفية التى يتوصل إليها بقدر اهتمامه بالمنهج الجديد الذى يجب اتباعه فى الفلسفة وهو المنهج التحليلى . ولقد تركت هذه الفكرة فى كثير من الفلاسفة المعاصرين أثراً بالغاً ، فضلا عن تأثير أفكاره الفلسفية ذاتها فى فلاسفة الوضعية المنطقية وفلاسفة التحليل اللغوى .

فلقد تأثر برتراند رسل بأفكار تلميذه ڤتجنشتين المتعلقة بالذرية المنطقية فنراه يقول فى مقدمة مقالته عن « فلسفة الذرية المنطقية » التى نشرت عام ١٩١٨ « انه معنى إلى حد كبير بشرح الأفكار التى تعلمها من صديقه وتلميذه السابق لدڤيج ڤتجنشتين » .

كما كان تأثير ڤتجنشتين فى رودلف كارنب أشد وضوحاً وخاصة فيما يتعلق بفكرته عن خلو قضايا الميتافيزيقا من المعنى ، وليس أدل على ذلك من أن كارنب خصص لهذا المعنى مقالا بعنوان « حذف الميتافيزيقا باستخدام التحليل المنطقى للغة » وهى نفس الفكرة التى دعا إليها أيضاً فى مقاله « المنطق القديم والمنطق الحديث » . فضلا عن تأثيره فى آير Ayer وخاصة فكرته عن تحقيق القضية وارتباط معناها بمدى مطابقتها للواقع . وكذا فكرته عن خلو قضايا الميتافيزيقا من المعنى ، تلك الفكرة التى نجد صداها دائماً عند كل فلاسفة التحليل اللغوى المعاصرين مثل جلبرت رايل الذى يذهب فى مقال له بعنوان «تعبيرات مضللة » الى أن العبارات الميتافيزيقية من هذا النوع لأنها فى حقيقتها خالية من المعنى . وهى نفس الفكرة تقريباً التى نجدها عند ڤايزمان وويزوم وغيرهما .